الوضع الراهن للمسألة اليهودية

ظلت المسألة اليهودية قائمة فى الولايات المتحدة لسنوات عديدة، لكنها حتى الآن فى حالة صمت وريبة. الجميع يعرفون أن هذه المسألة موجودة، واليهودى يعرف ذلك أكثر من الجميع، لكن قليلين جداً من امتلكوا الشجاعة لفتح هذه المسألة لمناقشتها تحت ضوء صحى. وذكر الشجاعة فى هذا السياق نحتاجه من أجل تفسير الصمت. رجال قليلون يملكون نفاذ البصيرة حاولوا علناً تحديد وتعريف المسألة اليهودية فى الولايات المتحدة، وتصدت لهم قوى خفية لايعرفها الشعب، وأصبح الخطاب الحرّ حول المسألة اليهودية أمراً غير مستحب. صحيح أن هذا يعكس التأثير الذى وقع على غير اليهود وليس اليهود أنفسهم، لكن تلك حقيقة واضحة. وعلى من يجرؤ على قول الحقيقة فى هذا الشأن أن يتوقع معارضة لاتحتمل.

واحدة من الحقائق التى أثرت ضد الخطاب الحرّ فى المسألة اليهودية هى الحالة التى دُرّب عليها شعبنا الأمريكى، وهى توقع التصفيق والموافقة بعد كل إجراء وكل كلمة. وكانت هناك فترة مجيدة فى التاريخ الأمريكى ينظر إلى المعارضة من خلالها باعتبارها موقفًا مرغوبًا فيه. وكان وزن أى رجل يقوم على أساس عدد أصدقائه أو عدد أعدائه، لكن تغيراً ناعمًا حدث. أصبحنا نحب التصفيق، وبدأت الهمسات تثير أباءنا، همسات تروّع أبناءهم. لذلك أصبح الكلام العادى مترهلاً وضعيفًا، وأصبحت الصحافة حيادية، واهتز برنامج «مساعدة الضعيف» ولم يعد بالإمكان الهجوم على القوى الذى تسبب فى ضعف الآخرين.

لقد تعاملنا كشعب مع المشكلة بشكل اعتيادى وأضعفنا القضاء والقناعات الأخلاقية بـ«فلسفة الدعم والتشجيع» المزيفة، وأصبحنا معتادين على قياس تأثير العمل بالتصفيق الذى يثيره فى الحال، وفقدنا شهية المناقشة والنضال فيما عدا التنافس السياسى الذى يدار من «المقار الرئيسية الكبرى».

صحيح أنه لم يكن من الممكن أن تنطق بكلمة «يهودى» فى الولايات المتحدة منذ عام، والآن ممكن. ويظهر الاسم على الصفحات الأولى فى كل صحيفة تقريبًا يوميًا، وهو موضوع للمناقشة فى كل مكان. لقد تحرر الكلام رغم جهود أصدقائنا فى «بناى بريث» فى كل ولاية لخنق الكلام.

وهذه الحرية فيها فائدة لليهودى والمسيحى؛ إذ لن يصبح اليهودى ينظر شزراً للمسيحى الذى ينطق باسم عرقه، ولن يعود هناك كبت أو خداع، فاليهودى يهودى، علاقة أمينة بين العقل والحقيقة تأسست بين اليهودى والمسيحى، الجو أصبح نقيًا وتلاشت محاولات الكتمان والإخفاء. وقد يقول اليهودى الآن «أنا يهودى» بشكل طبيعى مثلما يعلن أى أنسان عن عرقه وجنسه، وربما نرى بعض الأمريكيين البارزين الذين حاولوا طوال حياتهم إخفاء جنسهم يتقدمون ويقولون «نحن يهود». إنها حرية لليهودى وتفسير للمسيحى. إن نصف الفوضى والارتباك الذى يواجهه الرجال خلال محاولاتهم تفسير العالم راجع إلى أنهم يجهلون أين مكان اليهودى. هو دائمًا مفتاح، لكن إذا ماتنكر المفتاح فى هيئة أخرى فكيف يمكن استخدامه؟

منذ ثمانية أشهر بدأت ذا ديربورن إندبندنت نشر سلسلة مقالات عن المسألة اليهودية، فى محاولة لتحديد الحقائق التى قامت عليها. لم تكن الدراسة فى بدايتها هجومًا على أشخاص يهود باعتبارهم يهودًا ولم يتطور الأمر إلى ذلك، كان هدفها تنويريًا مع أمل سرّى بأن يكون قادة اليهود الأمريكيين عاقلين، ويروا أن هذا هو البلد وهذا هو الزمان الذى يمكن فيه إزالة أسباب الخطر والارتياب وتشويه السمعة عن اليهود، والتوصل إلى طريقة عمل صادقة لتسوية النزاعات وليس للتسامح.

والدليل على أن هذه المقالات اشتملت على حقائق، والحقائق نجدها فى فشل المتحدثين بلسان اليهود فى إظهار ولو مقالاً مزيّفًا بينهما. السجلات لاتوجد فيها حجة دامغة واحدة ضد المقالات؛ لأن الحقائق فقط هى التى تعثر عليها إذا ماسعيت لذلك وأخضعتها للاختبار. ولو انضم المرء إلى حملة تهدف إلى تشويه سمعة الخصم أو إلى خلق تحيّز، فإن حماسة الغير قد تغريه على تحويل الاحتمالات إلى حقائق ثابتة. وهذه المقالات لاتشكّل حملة. إنها مجرد مصابيح هنا وهناك تلقى

أضواء على البلاد وتركز على الزوايا التى بقيت مظلمة بأولئك الذين كان عليهم أن يعملوا بأمانة أكبر فى برج مراقبة الصحافة.

كان يمكن أن يكون ماقالته ذا ديربورن إندبندنت لاوزن له على الإطلاق، مالم يكن الناس قادرين على رؤية الحقائق بأنفسهم، وما أعطى لهذه المقالات أهمية هو التنوير الذى وجده مئات الآلاف من القراء، وليس المعلومات.

وكان رد الفعل اليهودى على هذه المقالات طيبًا من ناحية، ومحبطًا تمامًا من ناحية أخرى.

كان رد الفعل طيبًا من ناحية أنه قدم براهين مادية على كل ماجاء فى المقالات. وهذه الجريدة لايداخلها أدنى شك حول صدق ماتنشره، ولديها مخزون من الأدلة المادية.

لقد أثبت اليهود أنهم أفضل الناس تنظيمًا فى الولايات المتحدة، وأثبتوا أنهم متقاربون فى جماعات فيما يتصل بالمصلحة الوطنية أكثر من مواطنى الولايات المتحدة الذين تنحصر وطنيتهم فى أنهم مواطنون. وحتى حكومة الولايات المتحدة ليست منظمة مثل اليهود الأمريكيين، ولا علاقة لأمريكا بكل هذا؛ لأنه يحدث فى كل بلد. وأى تحرك نظمه اليهود فى هذا البلد كان يتسم بسرعة البرق وتلقائية العمل الجماهيرى.

إن سيطرة اليهود على وسائل الاتصالات فى هذا البلد ليست جزافًا، وهم ليسوا منظمين جزافًا، بل هم منظمون فى ولايات للشعب اليهودى ولديهم موظفون عملهم الوحيد تأمين تطور النفوذ اليهودى فى هذا البلد والبلاد الأخرى. وأثبتوا هذا فى معابدهم وصحفهم ومنظماتهم الاجتماعية وأنديتهم المحافظة ومجموعات البلاشفة الاشتراكيين، كلها تعمل معًا بناء على أوامر شعب منفصل عن الشعب الأمريكى، ولايوافقون على عبقرية الشعب الأمريكى، ودائمًا يجعلون تمييزًا بين الحقوق الأمريكية والحقوق اليهودية.

فى كل ولاية وفى كل مدينة هناك منظمة يهودية لها سياسة محددة، وهى زرع الخوف من اليهود فى كل رجل أو صحيفة أو مؤسسة تبدى أى ميل للتفكير المستقل فى المسألة اليهودية. ولهذه المنظمات لجان خاصة لها أعمال محددة، منها نشر «الهمس» ضد الهدف، وتلك حيلة بغيضة.

ودون تقديم وصف كامل للحيل المستخدمة يمكن إدراك أن السيطرة المركزية والعمل التلقائى فى كل أنحاء البلاد من أسباب القوة، ولاتوجد مؤسسة تعمل فى الولايات المتحدة الآن تستطيع إنجاز ذلك بنفس السرعة والتنظيم.

إن التكافل والتماسك اليهودى فوق النقد إذا ما استخدم لصالح الحياة الاجتماعية كلها، لكنه ليس كذلك إذا ما اقتصر الأمر على اليهود وظهر أنه معاد للأمريكيين، بمعنى معارضة كل مكونات التراث والتقاليد الأمريكية. ويزعم اليهود أن الولايات المتحدة لاتزال لم تتشكل ولم يستقر وضعها، وهى عرضة لمن يستطيع السيطرة عليها وتشكيلها. هذا هو موقف اليهودى اليوم الذى يرفض قبول حقيقة وجود أمريكا، ويعتقد أن جزءًا من واجباته إظهار أمريكا للوجود فى إطار خطوط يهودية طبعًا.

ولأن الولايات المتحدة ملكية خاصة بمعنى ما، فهى ملك لمن يؤمنون بمثاليات الآباء المؤسسين، وهى مثاليات يؤمن بها جنس أبيض من الأوروبيين. وهى أساسًا مثاليات مسيحية لايتفق اليهود مع معظمها، بل يحتقرونها. وكما قال أحد قادة اليهود أخيرًا فى نيويورك: إن الولايات المتحدة لم تكن أرضًا مسيحية، وأظهر فى سياق كلامه أنه يقصد أيضًا أنها لايمكن أن تكون كذلك أبدًا. وكان يبدى ازدراءً ليوم الأحد المسيحى رغم أنه رئيس جمعية هدفها إقامة يوم السبت الموسوى.

وبرهن اليهود أيضًا على صحة اتهامهم بأنهم يمارسون تأثيرًا غير متكافئ على شئون الحكومة، وهى تهمة لم ترد إلاّ فى سلسلة المقالات هذه. وهناك دليل آخر مهم يتكشف أمام عيون البلاد. فعندما قدم مشروع قانون الهجرة للكونجرس كان التصويت لصالح تقييد دخول البلاد. وصوت الكونجرس بناء على حقائق وقناعات بطولية.

وعندما أعلنت النتائج بدأت الخطوط الساخنة، وازدحمت القطارات بيهود يحتجون، وتوالى وصول العملاء اليهود إلى واشنطن. وأخيرًا نطقت الأفواه بالاسم السحرى: اليهودى. وانشغل المجتمع بالمشرعين والخطب واقتراحات بحلول وسط، وتعديلات للقانون. وأمام سحر اليهود ذاب المشروع مثل قطعة ثلج فى النار.

كان الاحتجاج الوحيد على تصويت الكونجرس من اليهود، وحاول فريق العمل

اليهودى فى أنحاء البلاد إضفاء أهمية وطنية على ذلك الاحتجاج. ولكن كانت هناك نقطة لم يستطع اليهود إنكارها هذا العام، وهى أن غالبية المهاجرين من اليهود. واستطاع اليهود تعطيل إشراف الكونجرس على أمر له أهمية خطيرة فى الحماية الوطنية، مثلما حدث منذ بضعة أعوام وأرغم الكونجرس على إلغاء معاهدة التجارة مع روسيا رغم قول الرئيس تافت: إن من الخطأ إلغاءها.

إنه دليل له قوة سياسية مبنى على قوة وتصميم على الحصول على مايريدون، بصرف النظر عما تريده الولايات المتحدة.

وليلاحظ القارئ أنه سوف يكتشف أن حركة الهجرة جزء من برنامج يهودى عالمى، مثل إلغاء معاهدة التجارة مع روسيا. ومن قرأ مقال ١٥ يناير سوف يتذكر كيف ذهبت تجارة الولايات المتحدة مع روسيا إلى أيدى اليهود الألمان بناء على أوامر اليهود، وكانت تستخدم فى خطط تهدف لتدمير الإمبراطورية الروسية. استخدم اليهود الولايات المتحدة لإنجاز جزء أساسى من تلك الخطة.

وفيم يستخدمون الولايات المتحدة الآن؟ قد نقول إن اليهود لديهم أسباب لما يفعلونه، واليهودى يتفوق كلاعب شطرنج؛ لأنه فى حالة لعب شطرنج أينما كان. ووصلت مسألة الهجرة إلى تدفق سريع لليهود من پولندا، ليس بسبب المذابح التى ثبت أنها پروپاجندا للاستهلاك خارج پولندا.

إن اليهود يغادرون پولندا لأنهم يعلمون أن شيئًا ما سوف يحدث.

وإذا كانوا يغادرون پولندا فهذه علامة على أن شيئًا ماسوف يحدث فى پولندا.

وإذا مانشر اليهود أخبارًا حول ذلك فهذا دليل على أن ما سوف يحدث سيكون موجهًا من اليهود.

بصراحة أصدرت حركة البلاشفة اليهود فى روسيا مرسومًا سريًا ضد پولندا، واليهود يفسحون الطريق، ويرسل أثرياء اليهود الأمريكيين عملاء للعودة بمجموعات من الأقارب. واستخدمت الولايات المتحدة كوسيلة رئيسية من قبل اليهود لاستيعابهم. فرنسا احتجت ضدهم ولم تقبلهم. انجلترا ترفضهم بإصرار. ويهود الولايات المتحدة أثرياء بما يكفى لإرغام البلاد على قبولهم. واستخدمنا نحن للتأثير

على دخول البلشفية إلى روسيا، ونستخدم الآن فى المساعدة على تدمير بولندا. ويحتمل عند وصول البرنامج اليهودى إلى هذه النقطة أن يحدث تدخل.

وقدم يهود الولايات المتحدة توضيحًا رائعًا لما قالته سلسلة المقالات عن سيطرتهم على الصحف الأمريكية. طبعًا الناشر لصحيفة محلية خارج نطاق السيطرة اليهودية الموجودة فى واشنطن ونيويورك وشيكاجو، لكنه قابل للتعديل من قبل الأثرياء اليهود فى البلد الذين يعلنون فى صحيفته، وهم يأخذون أوامر من واشنطن ونيويورك وشيكاجو. وهكذا يأخذ الناشر أوامره من المقر اليهودى الرئيسى رغم عدم إدراكه لهذا.

وذلك مثال واحد على أهمية الإعلان وقوته وتفوقه على أية افتتاحية مقنعة.

ومعرفة رجال الصحافة بالمسألة اليهودية كاملة تمامًا، وأى مجلس يتكون من أفضل الناشرين والصحفيين فى الولايات المتحدة سوف يكون فيه كل ماتحتاجه الحكومة والشعب من معلومات لتكتمل المعرفة، ويكون التعامل مع المسألة اليهودية ملائمًا.

وهكذا تتوالى الأدلة رغم ادعاءات اليهود بالضعف والعجز، ومؤكد أن الوضع الراهن للدفاع فيه إهانة لمن يملك مفهومًا لأهمية الموضوع.

وردّ اليهود بقائمة من التوقيعات تمثل بانوراما لتكافل الجنس اليهودى فى البلاد، لكن ذلك كان اعترافًا بعدم وجود دفاع ضد الاتهامات الموجهة فى المقالات.

وكان الرد اليهودى الرسمى الذى وقّعه قليل من قادة اليهود وليس كلهم مهذبًا فى لغته، أكثر من الردود اليهودية الأخرى، لكنه لم يكن مهذبًا فى محاولة خلق انطباع بوجود معاداة للسامية فى البلاد.

ولنلاحظ أن كل حركات معاداة السامية الموجودة فى الولايات المتحدة اليوم هى من صناعة القادة اليهود، وذلك ابتكار حديث يتم بترو وتدقيق.

ويريد القادة اليهود معاداة السامية هنا. ولأنهم غير قادرين على خلقها بين غير اليهود، فإنهم يسعون لإحداث آثارها بين اليهود بإبلاغهم أنها موجودة.

فعل قادة اليهود فى الولايات المتحدة كل مايمكن لإبعاد ذا ديربورن إندبندنت

عن اليهود، لمنعهم من قراءتها والحصول على الحقائق منها، لكن ذلك أثبت أنه لايوجد هجوم على اليهود مؤثر وفعال مثل هجوم اليهود أنفسهم.

من البداية، وبعد المصارعة بعدة أسابيع لاكتشاف طريقة للتعامل مع هذه المقالات دون الاضطرار للاعتراف كثيراً، لجأ قادة اليهود إلى كذبة معاداة السامية.

وماينبغى أن يخشوا منه الآن ليس قوة الشعور بمعاداة السامية بين المسيحيين وغير اليهود، لكن قوة الخطر بين اليهود الأمريكيين عند اكتشافهم خداع وعجز قادتهم.

ظلت «معاداة السامية» دائمًا الملاذ الأخير لقادة اليهود عندما تحيط بهم الحقيقة، ومعروف عنهم أنهم يحرضون الغوغاء من الچنتيل (الأغيار) بنشر اتهامهم بمعاداة السامية، حتى يتمكنوا من السيطرة على اليهود.

ونُشر فى الصحف أخيراً «احتجاج على معاداة السامية» وقعه عدد من الچنتيل؛ ونشر مرتين؛ لأنه لم يحدث التأثير المطلوب فى المرة الأولى. وكانت الصحف قد بدأت الشعور بالملل من النشر اليومى لبيانات من المقار اليهودية الرئيسية. ولإضفاء بعض الحيوية على الاحتجاج لضمان التوزيع حصلوا على توقيع وودرو ويلسون، واهتزت أعمدة البرق.

وكان تصرفًا لائقًا من الرئيس ويلسون أن يوقع على احتجاج ضد معاداة السامية، وهو تصرف لائق من كل من وقعوا شريطة أن يكون ذلك ماقصدوه.

ولو أرسل الاحتجاج إلى ذا ديربورن إندپندنت لأضاف المسئولون توقيعاتهم، فهى ضد معاداة السامية وتحتج على قادة اليهود الذين يستخدمونها لإثارة تلك الروح العدائية.

وكان الاحتجاج، مهما ادّعى الموقعون براءتهم، ضد أى مناقشة عامة للمسألة اليهودية، خصوصًا مسألة معاداة السامية.

وحرص المرسلون على إظهار أن اليهود لاعلاقة لهم بالاحتجاج، وأن منظمة غير يهودية عملت طويلاً فى خدمة يهود نيويورك. وتأكيد أن الاحتجاج كتبه مواطن غير يهودى من تلقاء نفسه وعلى مسئوليته ودون استشارة أحد أمر يثير السخرية.

كان هناك مايكفى من الاستشارة لجعل الاحتجاج مجرد وثيقة ووفق عليها من قبل. وذلك المواطن جزء من السيناريو المحكم.

بالنسبة لمستر چون سبارجو الذى بدأ اسمه يظهر كمدافع مسيحى عن اليهود، فلم يبدأ دفاعه إلاّ بعد استشارات سرية مع مجموعة يهود نيويورك. وكان موقف سبارجو غير موفق.

كل أدبيات جمعية مناهضة تشويه السمعة، وكل خطب المدافعين شىء طيب. لكن فتح باب المسألة اليهودية شىء آخر. ولو وظّف اليهود مزيداً من المدافعين المسيحيين فمن الممكن أن يأتى وقت تتم فيه مناقشة المسألة. ويجب على المتحدثين بلسان اليهود ـ كى لايفقدوا وظائفهم ـ أن تكون حدودهم الإنكار والتهديد. أما المدافعون المسيحيون فهم غير قادرين دستوريًا على البقاء طويلاً، وسوف يسيرون فى اتجاه الحقيقة ويمكن توقع فتح باب مناقشة المسألة.

ولاتوجد مطبوعة يهودية واحدة ـ مهما كانت غير صادقة ـ تُمنع من البريد أو من المكتبات. ولايوجد متحدث يهودى رسمى واحد يمكن إعاقته عن عمله. نحن نؤمن بحرية الكلام والإقناع. وبواسطة هذا يمكن للناس أن يأملوا فى تنظيف الولايات المتحدة.

اليهود لايؤمنون بحرية الكلام، ولا حرية الصحافة.

فى كل ولاية تقدم جماعة «بناى بريث» للمشرعين مشروع قانون يمنع نشر أى شىء يحط من شأن اليهود، من وجهة نظرهم.

هذا هو رد اليهود على الحقائق التى قدمناها فى سلسلة المقالات.

فى مئات من المكتبات العامة يستخدم اليهود أعضاء من جنسهم يتصادف عملهم فى تلك المكتبات، أو يستخدمون لجانًا من جنسهم للتأثير على مجلس إدارة المكتبة لحظر الكتب والنشرات والأوراق التى تناقش المسألة اليهودية، بطريقة لاتثير أى شكوك حول أن اليهود مثال للفضيلة وشعب الله المختار.

يحدث هذا فى الولايات المتحدة، فى بعض الولايات الشرقية التى وقفت بحزم وشجاعة إلى جانب قضية حرية الكلام وحرية الصحافة.

هل نستمر ونأتى بأمثلة أخرى ونضيف جنونًا إلى جنون! إن كل عمل له هذه الطبيعة يعطينا دليلاً مرئيًا ومحسوسًا لأى مجتمع على أن مايكتب عن اليهود صحيح.

إن الوضع الراهن للمسألة اليهودية فى الولايات المتحدة كما يلى:

بداية لظهور حقائق طال تراكمها.

اعتراف اليهود بالحقيقة تم بهدوء واتزان من قبل القادة.

رد الفعل اليهودى كان الإنكار بالنسبة لأنفسهم، أما بالنسبة للآخرين فكان القمع والكبت.

والنتيجة: فشل ذريع.

(ديربورن إندبندنت، العدد ٢٩ يناير ١٩٢١)

* * *